الاخلاق في العصور التاريخية

أ.د.نبأ عبد الحسين حسن وئام فوزي
جامعة بغداد - كلية التربية للبنات - قسم العلوم التربوية والنفسية

ملخص البحث

للتعرف على اهمية الاخلاق في العصور التاريخية المختلفة لا بد من التعرف أولاً على جذور هذا المفهوم والرجوع الى أصوله اللغوية وبيان دلالاته الرئيسية بوصف الأخلاق مفردة نالت حضوة جيدة في أدبيات اللغة العربية ، وفي عقائد الديانات السماوية التي يرى الأكثرية إنها قامت على أساس أخلاقي.

إن الأخلاق إسم للصفات الطبيعية للإنسان ، أو إسم لفطرة الإنسان نفسها ، وأن الأخلاق ومفردها (خلق) هي أسم التكوين الباطني لهذا الانسان ، فالخلق انما وضع مقابل لفظ الخلق – الذي هو اسم هذا الشكل الانساني المتطور.

وترى مراجع أخرى إن لفظ (الأخلاق) إنما هي جمع لكلمة (خلق) وتعني عادة وتكرار لفعل معين ،فالإنسان الذي على خلق يتصف بسلوك ثابت في حياته اليومية ، ولذلك يقال إن كلمة (خلق) مأخوذة من كلمة (الخلافة) بمعنى" المرانة على الشيء حتى يصبح عادة لمن يزاوله"،كما يرى البعض إن الخلق ملكة من ملكات النفس تصدر عنها أفعال الإنسان دون إمعان أو تفكير أو روية .

فهناك من يرى أن كلمة الخلق تأتي بمعنى السلوك أو التصرف (behaviour)،أو في معنى السيرة والخلق (manner)، أو في معنى الأخلاقي والسلوك الأخلاقي (moral) ، أو في معنى الدرس الأخلاقي ، أو المباديء الأخلاقية (morality)، أو في الأخلاق المفهومة فهماً فلسفياً (ethics) ، أو في معنى الأخلاقي أو الأدبي (ethical).

وإذا كان للعلم أهمية في رقي الانسان المادي والحضاري ، فأن الأخلاق أكثر أهمية لأتصالها بالناحية الروحية عند الأنسان، ولا ينظر من كل أنسان أن يكون عالماً أو أن يلم بنظريات العلم ، ولكن ينظر منه أن يدرك معنى (الواجب) ، وأن يهدف في أعماله وتصرفاته الى تحقيق المباديء الأخلاقية ، لذلك فأن المسائل التي يجب ان يهتم بها كل انسان ، كونه يحتاج أن يبني تصرفاته ويبررها بالرجوع الى مبدأ أخلاقي ، وإذا لم يتخذ له موقفاً إزاء المشكلات الأخلاقية التي تواجهه وآثر أن يكون سلبياً، فأن السلبية تعكس هذه الأخلاقية، لذلك يتعين على كل إنسان أن يتخذ له مبدأ يسير عليه ويقيس به تصرفاته وأفعاله ويحكم على أساسه على تصرفات الأخرين وأفعالهم.

وبناء على ذلك يمكننا العودة للقول إن موضوع (الأخلاق) هو الأفعال الأنسانية من حيث مطابقتها للخير والشر وعلاقتها بالواجب والمثل الأعلى للسلوك ، أي إن الموضوعات التي يعالجها (علم الأخلاق) هي أساساً الخير والشر والضمير والحق والواجب والمثل الأعلى والمباديء المؤدية الى الحياة الأنسانية السامية.

Ethics in historical times

Prof. Dr. Nabaa Abdul-Hussein Weaam Fawzi
University of Baghdad - College of Education for Women - Educational and Psychological Sciences Dept.

Abstract

To learn about the importance of ethics in different historical eras have to be identified first on the roots of this concept and return to the origins of language and the statement connotations Home as a morality single won Position good in the literature of the Arabic language , and beliefs of the monotheistic religions that see the majority it had on moral grounds .

The name of the morality of the natural qualities of a human being , or the name of human nature itself , and morality , plural (created) is the name of the inner configuration of this man , but Valkhalq put against the word of creation - which is the name of this human form evolving .

In the opinion of other references that word (ethics) but they are collecting for the word (create) and usually means the repetition of a certain act , man who create characterized the behavior of a constant in his daily life , but it is said that the word (create) is taken from the word (succession) meaning " Exercise the thing even those who practiced becomes a

habit , "as some believe that the creation of the Queen of queens self- published by the actions of human or without careful thought or deliberately .
There are those who believe that the word of creation comes the sense of conduct or behavior (behaviour), or in the sense of conduct and manners (manner, or in the sense of moral and ethical behavior (moral), or in the sense of moral lesson , or morality (morality), or in ethics they understood philosophically (ethics), or in the sense of ethical or moral (ethical).

If the science of importance to the advancement of human and material civilization , the morals are more important to relate to aspect spiritual in humans , is not seen by every human being to be a scientist or be mastered theories of science, but consider him to realize the meaning of (duty) , and aims at work and his actions to achieve ethical principles , so the issues that must be of interest to every man , being a need not to build his actions and justified by reference to the moral principle , and if you do not take his position on the ethical problems facing it and preferred to be negative , the negative be moral , so it should be every human being should take it as a principle and measures applied by his actions and by his actions and judged based on the actions of others and their actions.

Therefore we can return to say that the subject (ethics) is acts humanity in terms of compliance with the good and evil and their relationship to duty and the ideal of behavior , the topics addressed by the (ethics) are basically good and evil , conscience, and the right and duty and the ideal and principles leading to human life -Semitism

المبحث الاول : الاخلاق في الشرق القديم

إن الشعوب الشرقية عرفت في العصور القديمة كثيراً من المعارف والآراء التي لها أثرها في الطبيعة والدين والأخلاق وغير ذلك من وجوه التفكير الإنساني ، ومن الممكن القول أن أخلاق الشرقيين كلها على وجه الإجمال أخلاقاً عملية .

ففي حضارة وادي الرافدين نلتمس أهمية الأخلاق في المدونة القانونية التي سنّها حمورابي التي عمرها يناهز (٤٠٠٠) سنة ، وتضمنت (٢٨٢) نصاً قانونياً يحدد الأخلاق بما فيها أخلاق التجار والعمال ، كما حددت العقوبات التي يتعرض لها المخالف إذا ما تجاوز الإرشادات والقواعد الموضوعة ، وتلك أشارة واضحة لما تضمنته المدونة من تحديد لسلوك الفرد ، كما نجد ملحمة كلكامش أقدم ما يبرز تطور الفكر الإنساني التي تتناول قضايا الأخلاق ، فقد عالجت تلك الملحمة قضية اخلاقية كبرى وحددت سلوك الإنسان من حيث الالتزام بالأخلاق في الحياة من خلال إتباع قانون الحياة الطبيعية بضبط زمام النفس والقيام بالأعمال التي تخلده. (عاتي ،٢٠٠٥ : ٧).

وكذلك نجد إن الأخلاق عند المصريين القدماء على سموها لا تخرج عن أن تكون اخلاقا عملية تعنى بالسلوك اكثر منها بوضع صيغة نظرية له ، كما إن الأخلاق المصرية هي أخلاق إصلاح وبناء وأمل ، وركزت على الألتزام الأخلاقي من قبل الأفراد . ولعل بناء الأهرامات الدليل الشاخص على إن الاخلاق كانت الموجه لسلوك العاملين لديهم .

بينما نلاحظ إن الاخلاق الهندية هي اخلاق إنكماش وفرار وإنسحاب من الواقع الى عالم آخر من نبع الوهم والخيال وأختلاطها بالزهد والتصوف والعزوف عن الدنيا .

في حين نجد في الفكر الصيني عبقرية حقيقية مستندة الى مباديء الفيلسوف الصيني (كونفوشيوس) حيث تبنى موضوع الاخلاق من خلال أفكاره التي جاءت كرد فعل على ما يراه من حالات فساد ناتجة من ضعف الأيمان بالأخلاق في الميادين كافة ، وما خلفته الصين من الحكمة والقيم الخلقية الرائعة تشكل مثلاً اعلى للأخلاق والعقل ، وهكذا شهدت الصين طائفة عظيمة من العبقريات الفلسفية والأخلاقية والتراثية (مرحبا ، ١٩٨٨ : ١٨٣).

وبناء على كل ما أوردناه نستطيع ان نحكم الآن إن اليونانيين لم يكونوا اول من تحدثوا عن الاخلاق وعالجوا موضوعاتها فيما بحثوا وكتبوا ،بل كان الفكر الاخلاقي موضع إهتمام جميع الأمم القديمة من عراقيين ومصريين وهنود وصين وغيرهم ، فقد ظهر عند المصريين في صورة عقائد دينية تدعوا الى السلوك الطيب الذي يحقق مباديء العدالة والاستقامة والفضيلة ، كما ظهر عند الهنود صوفية دينية تغالي في تطهير النفس وتعذيبها للوصول الى مرتبة الفناء ، وظهر عند الصين في طابع من الحكمة يصطبغ بصبغة عقلية وفلسفية واضحة، ويبتعد لأول مرة عن العقائد الدينية ، وبذلك يسبق الفلاسفة الشرقيون اليونان الى تنظيم الفكر الفلسفي عامة والأخلاقي على وجه الخصوص.(رشوان ، ١٩٨٨ : ٣٩).

المبحث الثاني : الاخلاق في اليونان

أهتم فلاسفة اليونان بالأخلاق وبصورة خاصة منذ عهد سقراط الذي أكد إن المعرفة فضيلة، والفضيلة معرفة ، ودراسة المذاهب الخلقية كافية لتحقيق التربية الخلقية ، حيث يرى إن الإنسان يبحث عن السعادة ، وإذا عرف إن الفضيلة

هي الطريق الوحيد الذي يوصل للسعادة فأنه لا يخطىء طريقها ولا يمكن أن يعمل الإنسان ما يؤدي الى شقائه وهو بذلك مختار له . (بدوي ، ٢٠٠٠ : ١٧).

كما اكد على إن الشيء الذي يمكن تعليمه او تلقينه هو المعرفة ، وإذا كانت الفضيلة يمكن تعليمها ، لابد إذن للفضيلة ان تكون نوعاً من انواع المعرفة ، وإذا كانت الفضيلة هي المعرفة ، فالرذيلة إذن هي الجهل ، فالرذيلة لا ترتكب الا نتيجة الجهل ، وبالتالي لا يكون احد شريراً بقصد ، والفعل الخيّر يترتب الياً عن معرفة ماهو خيرّ. (تلوع ، ١٩٩٥ : ٤١).

اما افلاطون فقد اكد على إن العلم وحده لا يكفي لكي يصبح المرء فاضلاً فربما المرء قد يعرف الشر ويأتيه ويعرف الخير ولا يفعل ، لذلك لابد ان تنضم الى العلم قوة الإيمان والإقناع ، كما يجب ان تتوافر عوامل اخرى لنجاح النشاط التربوي وأولها إزالة العقبات والمواقع البيئية والقدوة الضارة التي لا ينكر اثرها في سلوك الناشئين .

أما أرسطو فقد رأى إن الفضيلة تمثل الوسط بين رذيلتين ، وأسمى انواع السلوك هو السلوك الذي ينمي النفس ويزودها بالحكمة والمعرفة . (بدوي ، ٢٠٠٠ : ١٨ –٢٥).

وإن الفضيلة على نوعين الفضيلة العقلية والأخلاقية ، أما خصائص الفضيلة العقلية فأنها تكتسب بالتعليم وتنمو من خلاله ، لذا كان بلوغها يستلزم مدة من الزمن والخبرة ايضاً ، بينما تكتسب الفضيلة الأخلاقية بالممارسة ، لذلك يقول ارسطو " إن الفضائل لا تنشأ فينا بالطبع ولا خلافاً للطبع".(الجبر ، ١٩٩٤ : ٩٠).

أما المدرسة الأبيقورية اليونانية قديماً فقد رأت بأن اللذة هي الخير الأعظم أو الغاية القصوى لمعظم الأفعال البشرية ، وأن معيار خيرية الأفعال هو درجة اللذة التي تحققها لأصحابها.

أما الرواقيون فقد أرتكزت فلسفتهم الأخلاقية على التوحيد بين الفضيلة والسعادة ،فالسعادة عندهم تنحصر في ضبط النفس والخلو من الرغبة والتحرر من الإنفعال والتخلص من الهوى ، ولذلك فالحياة الخلقية عندهم حياة عقلية لا يحكمها سوى طاعة القانون الكلي. (عبده ، ١٩٩٩:٥٦).

وبهذا يمكن القول إن الاخلاق عند اليونان تمثلت بالحوار السوفسطائي السقراطي وأخلاق افلاطون المثالية وتابعها ارسطو بأخلاق واقعية ، كما تمثلت عند الابيقوريون والرواقيون الذين نادوا بأن الاخلاق تستهدف تحقيق سعادة الإنسان وإن اختلفوا في مفهوم السعادة وكيفية تحقيقها.

وتجدوا الأشارة هنا الى إن بذور مثل هذه الآراء والأفكار والنظريات الأخلاقية يمكن ان نجدها في الفكر الفلسفي والاخلاقي العراقي القديم ؛ فالبحث عن اصل الخير والشر ، وطبيعتهما ومعيارهما ، وبيان الأجابة عن السؤال الفلسفي الاخلاقي القائم الى يومنا هذا : من الذي يصنع القيم ؛ الإنسان ، المجتمع ، الإله ،الطبيعة، والهدف من الحياة، وطبيعة الحكم الأخلاقي، وعامل الرضا: الذاتي، أو الأجتماعي ، أو الألهي، في تحديد هذا الحكم ومعيار الأخلاق ، وجزاء الإنسان الفاضل ، والعدالة ...

المبحث الثالث : الاخلاق في العصور الوسطى

إن الحديث عن الأخلاق في العصور الوسطى هو حديث عن الأخلاق المسيحية ، وهي أخلاق دينية بالدرجة الأولى أو على الأقل تأثرت بالدين وقضاياه، والكنيسة وتعاليمها ، التي ظهرت مع ظهور المسيح فاعادت للحياة توازنها وقيمها الروحية والدينية المستقلة عن حياة المادة ونزواتها ؛ فقد حاولت المسيحية نقل الإنسان من التفكير في هذا العالم المادي الى العيش طبقاً للمعايير السماوية ، وتحويل المشاكل الاخلاقية الى موضوعات دينية ، وأصبح الخير الاخلاقي خضوع الإنسان الى إرادة الخالق. (تلوع ، ١٩٩٥ : ١٠٩).

وأصبح الإتجاه السائد أن الوحي السماوي جاء بالتعاليم الاخلاقية ، ولهذا لم يكن للبحث العقلي في الأخلاق أي مجال في هذا العصر. (زقزوق ، ١٩٨٣ : ٥١).

لقد قرنت الاخلاق المسيحية بين الثواب والعقاب في الآخرة بالحياة الخلقية للفرد في الدنيا ، أو الثقة بالله ورحمته ، فبوسع الله سبحانه ان يغفر ذنوب المرء إذا ماتاب وندم على فعله ، ولهذا إهتمت الاخلاق بنعيم الآخرة ، ونادت كذلك بالزهد والتقشف . (رشوان ، ١٩٩٨ : ١٢٣).

لقد ولد في تاريخ الكنيسة المسيحية رجال ومفكرين وفلاسفة عظماء كان أحدهم القديس أوغسطينوس (٣٥٤-٤٣٠)م الذي كانت فلسفته متصلة بتفكيره اللاهوتي ، وكانت المسيحية في نظره هي الفلسفة الحق، والفلسفة عنده هي" عادة السلوك وفقاً لطبيعة الإنسان ، العاقلة والخلقية " وعكسها الرذيلة التي تتعارض معها ، كما إنه جعل الاخلاق كلها تعتمد على حركة داخلية للإرادة راسخة في الله سبحانه الذي هو الغاية الوحيدة للإنسان ، وإن الإنسان عنده لن يسعى الى أن يصنع حياة سعيدة ، لكنه سوف يسعى الى الله لكي يهبه الحياة السعيدة فهو وحده القادر على أن يمنحه إياها ، وأن جميع الأشياء التي خلقها الله خيرة ولكن ليست على درجة واحدة من الخير.

في حين تصور القديس توما الأكويني (١٢١٥ - ١٢٧٤) م إن الفضيلة هي أن ما يجعل الإنسان خيراً وما يجعل سلوكه وما يصنعه خيراً هو أن يعمل وفقاً لطبيعته أي وفقاً لعقله ، وأنه حرص أيضاً على أن يجعل من الله سبحانه وتعالى لا فقط اصل أفعالنا بل أيضاً أصل معارفنا ، وقد عرف القانون الألهي بأنه " الفن الالهي الذي يحكم الأشياء والذي بوساطته خلقت الأشياء " وأن الخير والشر يخضعان للقانون الالهي (جلسون ، ١٩٩٦ : ٣٨٠ – ٣٨٢).

وأن جوهر الحياة الأخلاقية هو عندما يسلك الفرد سلوكاً طيباً أو حسناً فهو بذلك يفعل الخير

وهذا ما يتيح لنا القول ان الفلسفة الاخلاقية في العصور الوسطى أرادت ان تقسم الاخلاق على اساس العقل من دون ان يتعارض عنده هذا العقل مع مقولات الدين .

المبحث الرابع : الاخلاق في العصور الحديثة

بدأت الكنيسة تفقد السلطة المخولة لها في القرنين ١٥ و١٦ وأحد أسباب ذلك ، ظهور وسيادة المذهب الفردي الذي أكد على الحرية الأنسانية بمعزل عن الوحي الديني ، الذي أيّده البروتستانت ، وأراد لكل مسيحي ان يحمل أنجيله بين يديه يفسره تفسيراً فردياً ، وقد رأى البعض إن الفرق بين الصواب والخطأ هو فارق ذاتي يعتمد على إتجاه الفرد الذي يصدر الحكم الأخلاقي ، فيما نحبه يعد صواباً وما نكرهه يعد خطأً ، أما البعض الآخر فقد رأى إن التمييز بين الصواب والخطا على أساس (البصيرة المرشدة) أو الرؤية الدينية المباشرة.. في حين رأى فريق ثالث إن الفرق بين الصواب والخطأ يعتمد على (قانون ما) ، لكن وجهات نظر أفراد هذا الفريق أختلفت حول طبيعة هذا القانون ؛ فقد ذهب (تبلر) الى القول إن القانون الاخلاقي (هو قانون الطبيعة البشرية) الذي تكشف عنه دراسة التكوين السايكولوجي للإنسان . بينما تمسك آدم سميث بقانون التعاطف الوجداني ، في حين أن ديكارت أكد على قانون العقل.(حسن ، ٢٠١٠ : ٤٣). في حين إن فريقاً رابعاً رأى إن (اللذة) تمثل معيار الصواب والخطأ او الخير والشر ، مثلما ذكر الابيقوريون قديماً .

ثم جاء القرن السابع عشر ليبني ويشيد الجديد(ليتبنز) و(لوك) و(توماس هوبز) الذي كان لمذهبه الاثر الكبير على تيارات الفكر الاخلاقي اللاحقة ، حيث صدرت عنه الاتجاهات الفلسفية الحديثة في الاخلاق حتى قيل عنه ان النظرية الاخلاقية الحديثة قد بدأت على وجه الدقه مع توماس هوبز، الذي استخدم مصطلح القوانين الطبيعية في حديثه عن القوانين الاخلاقية لانه قد وصف القوانين الطبيعية بأنها فكرة أو قاعدة عامة يكتشفها العقل ليمنع بها المرء من ان يفعل ما فيه دمار لحياته وبالتالي يصف هذه القوانين بأنها عقلانية وأخلاقية والهية

أما(عمانوئيل كانت) فيعد من اشهر المدافعين عن المذهب الاخلاقي الذي تركز حول مفهوم الواجب ، وكثيرا ما يوصف بانه فيلسوف الواجب ، حيث يكون فيها الواجب أو القانون أو الالزام دعامة الاخلاق كلها ، وهذا ما نجده في كتابه (نقد العقل العملي) وكذلك في كتابه (اسس ميتافيزيقيا الاخلاق). (رشوان ، ١٩٩٨: ١٥٤-١٥٥).

بالاضافة الى هؤلاء فقد ظهرت ايضا وجهات نظر أخلاقية أخرى كأخلاق التطور التي قامت على فلسفة هربرت سبنسر ، والأخلاق المثالية التي قامت على فلسفة غراهام جرين والأخلاق النسبية التي قامت على فلسفة ويستير مارك وأخلاق الحدس التي قامت على فلسفة هنري برغستون. (ليلى ، ٢٠٠٠ : ٦١).

المصادر

١- الجبر، محمد ، **الفكر الفلسفي والاخلاقي عند اليونان** ، دار دمشق، ط١، دمشق ، سوريا ، ١٩٩٤.

٢- بدوي، السيد محمد ، **الاخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع** ، دار المعرفة الجامعية للنشر، الاسكندرية ، مصر، ٢٠٠٠.

٣- تلوع ، ابوبكر ابراهيم ، **الأسس النظرية للسلوك الاخلاقي** ، دارالكتب الوطنية ، بنغازي ، ليبيا، ١٩٩٥ .

٤- جواد ، حسن فاضل، **الاخلاق في الفكر العراقي القديم** ، بيت الحكمة، بغداد ، ١٩٩٩.

٥-حسن ، شاهزاد رمضان، **المنظومة الاخلاقية لدى طلبة دمشق بين النظرية والتطبيق** ، رسالة ماجستير، كلية التربية ، جامعة دمشق، سوريا، ٢٠١٠.

٦- رشوان ، محمد مهران ، **تطور الفكر الاخلاقي في الفلسفة الغربية** ، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٨ .

٧- زقزوق ، محمود حمدي ، **مقدمة في علم الاخلاق** ، دار العلم للنشر،ط٣ ، الكويت ، ١٩٨٣

٨- عبدة ، مصطفى ، **فلسفة الاخلاق** ، مكتبة مدبولي ، ط٢ ، القاهرة ، مصر ، ١٩٩٩.

٩- عاتي، لقاءمطر، **المنظومة الاخلاقية واثرها في استشراق مستقبل التعليم التنظيمي**، رسالة ماجستير ، الجامعة المستنصرية ، بغداد ، العراق ، ٢٠٠٥.

١٠- كريسون ، اندريه ، **المشكلة الاخلاقية والفلاسفة** ، ترجمة عبد الحميد محمود وابو بكر ذكرى ، مطابع دار الشعب بالقاهرة ،مصر ، ١٩٧٩

١١- ليلى، وليم ، ترجمة علي عبد المعطي محمد ، **مقدمة في علم الاخلاق** ، دار منشأة المعارفب الاسكندرية ، مصر ، ٢٠٠٠.

١٢- مرحبا ، محمد عبد الرحمن ، **المرجع في تاريخ الاخلاق** ، دار طرابلس ، ط١ ، لبنان ، ١٩٨٨.